

برنامج أنوار كاشفة

سفر الأمثال

الحلقة السادسة والأربعون

أهلاً ومرحباً بك صديقي المستمع في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. كنا بدأنا قبل فترة بدراسة سفر الأمثال للملك سليمان. وعلمنا أن هدف سفر الأمثال هو تقديم نصائح عملية على شكل أمثال تحمل حقائق أخلاقية، لكي تعلم الناس كيف يحيون حياة نقيّة وصادقة.

تأملنا في اللقاء السابق بعدد من الأمثال التي تناولت أهمية الحصول على المعرفة واقتناء الحكمة، وضرورة حفظ وصايا الله وسماع مشورته. ثم تحدثنا عن الأمثال التي تعالج العلاقة بين الآباء والأبناء، وعن ضرورة إطاعة الوالدين، وعدم إساءة الأهل لأولادهم.

هل تُثار وتغضب بسرعة يا صديقي؟ وعندما تغضب كيف تتصرّف؟ وهل تعلم ما هي نتائج الغضب على حياتك وعلى الآخرين من حولك؟ كتب سليمان الحكيم العديد من الأمثال عن الغضب ولقد تأملنا في السابق بعدد منها. وها هو يعود ليتحدث عن الغضب ونتائجه. كتب الحكيم هذا المثل قائلاً: "الجامح الغضب يدفع ثمن جموحه، وإن كبحته أو اعترضته فإنك تزيد سوءاً." (أمثال 19:19، الترجمة التفسيرية) من الواضح هنا أن الذي يجمع نحو الغضب أي يسرع في الغضب، لابد أن يدفع ثمن غضبه الجامح هذا في حياته.

ويقدّم لنا الحكيم في هذا المثل نصيحة، وهي أن لا نحاول كبح أو اعتراض الشخص الغضوب، لأن ذلك سيزيده غضباً، وبالتالي سيزيده سوءاً وضرراً للآخرين. فالأفضل في مثل هذه الأحوال الابتعاد عن الشخص الغضوب، لكي يهدأ لوحده. أليس هذا هو اختبار الكثيرين منا يا صديقي؟ فمن الأفضل أن لا نحاول تهدئة شخص يستشيط غضباً وإلا ارتد علينا وأساء إلينا.

لكن وفي المقابل ماذا يحصل عندما يضبط الإنسان نفسه أثناء الغضب؟ كتب سليمان الحكيم قائلاً: "تعقل الإنسان يُبطئ غضبه وفخره الصّحّ عن معصية." (أمثال 19:11) نعم، من الأفضل لنا أن نحكم عقولنا أثناء الغضب، لأن هذا سيساعدنا على لجم نفوسنا وإبطاء غضبنا أي تهدئتنا. وفي نفس الوقت إن الافتخار الحقيقي أو العظمة الحقّة تكون يا صديقي عندما نصفح، أي نسامح الآخرين على أخطائهم نحونا. فهل ترانا نفعل هذا الأمر؟

لم يكن سليمان الحكيم هو الوحيد الذي دعانا لكي نحكم عقولنا أثناء الغضب، فها هو الرسول يعقوب من رسل المسيحية الأوائل يكتب قائلاً: " .. ليكن كل إنسان مُسرِعاً في الاستماع مُبطناً في التكلم مُبطناً في الغضب. لأن غضب الإنسان لا يصنع برّ الله." (رسالة يعقوب ١: ١٩ و ٢٠) إنها بالفعل نصيحة مهمة يوجهها لنا الرسول يعقوب، إذ علينا عندما نرى أو نسمع أمراً لا يعجبنا، أن نقف ملياً ونتأكد منه أولاً، ونستمع مطوّلاً لما يُقال. إذ في أحيان كثيرة يكون رد فعلنا سريعاً وقبل أن نتحقق من الأمر.

وعندما نقوم بهذه الخطوة، أي خطوة التأكد والاستماع المطول، سنجد أننا تلقائياً سنستطيع السيطرة على نفوسنا وكبح جماحها، وبالتالي سنبتغي من رد فعل كلامنا ومن غضبنا. فهل ترانا نقوم بهذه الخطوات العملية لكي نستطيع التحكم بغضبنا وبشكل عقلائي؟ ولعلّ الأمر المهم الآخر الذي نبهنا إليه الرسول يعقوب هو أن الإنسان إذا غضب فهو لا يعمل الصلاح الذي يريده الله منه. فالله يريدنا أن نسلك في طريق الصلاح والخير، وعندما نغضب فإننا نفعل الشر، وهكذا نبتعد عما يريده الله منا. فهل هذا ما تريده لنفسك يا صديقي؟

لقد وضع الله أمامنا طريقين علينا أن نختار بينهما، هما طريق الخير وطريق الشر. فإذا أردنا أن نعمل بحسب أهواء جسدنا الفاسدة ومطامح نفوسنا، فإننا لابد أن نسقط في الكثير من الخطايا والشرور وعلى رأسها الغضب الجامح. فهل ترانا نطلب من الله أن يساعدنا على ضبط نفوسنا؟

مستمعي الكريم، لقد تأملنا قبل قليل في المثل الذي ذكره سليمان الحكيم، أن عظمة الإنسان تكون عندما يصفح أو يغفر للآخرين، لا أن يغضب عليهم وينتقم منهم. وهو ما أكدّه أيضاً الرسول بولس من رسل المسيحية الأوائل عندما كتب قائلاً: "لا تنتقموا لأنفسكم أيها الأحباء بل أعطوا مكاناً للغضب. لأنه مكتوب لي النعمة أنا أجازي يقول الرب. فإن جاع عدوك فأطعمه. وإن عطش فاسقه. لأنك إن فعلت هذا تجمع جمر نارٍ على رأسه. لا يغلبك الشرُّ بل اغلب الشرُّ بالخير." (الرسالة إلى رومية ١٢: ١٩-٢١)

على المرء إذن أن لا ينتقم لنفسه وأن لا يُسرِع للغضب، بل على العكس عليه أن يغفر للذي أساء إليه ويحاول التعامل معه بالمحبة. هذه هي قمة العظمة الحقيقية. فليست العظمة بالانتقام للذي أساء إلينا، بل بالغفران والمحبة، وأن نجعله بالتالي صديقاً لنا بعد أن كان عدواً. لماذا طلب منا الرسول بولس أن نغفر لأعدائنا؟ لأن الغفران قد يكسر حلقة الانتقام ويؤدي إلى المصالحة

المتبادلة. وقد يُخجل عدوتنا فيغير من أساليبه نحونا. إن مقابلة الشر بالشر ستسبب لك الضرر مثلما تسببه لعدوك. ولكن الصفح عنه سيحررك من عبء ثقيل من المرارة.

فإذا وجدت أنه من الصعب عليك أن تغفر لشخص ما قد آذاك، فحاول أن تبدي له الصفح. وقد يكون من الملائم أن تقول لذلك الشخص إنك تريد أن تصلح علاقتك به. قدّم له يد المساعدة، ابتسم له، وستكتشف مراراً كثيرة أن التصرفات الصحيحة تؤدي إلى مشاعر سليمة. (اقتباس من التفسير التطبيقي) وبكلمات مختصرة: إن معاملة الذي أساء إلينا بهذه الصورة سيجعلنا نربحه عن طريق المحبة. وهو الذي قصده الرسول بولس عندما تحدث قائلاً: "إن جاع عدوك فأطعمه. وإن عطش فاسقه. لأنك إن فعلت هذا تجمع جمر نار على رأسه. لا يغلبك الشر بل اغلب الشر بالخير."

أي أننا بالغفران وسلوك طريق المحبة نجعل الخير ينتصر على الشر في نفوسنا. هذا هو بيت القصيد، وهذه هي قمة العظمة الحقيقية. فهل ترغب مستمعي أن تسلك في طريق المحبة؟ وأن تجعل الخير ينتصر على الشر في حياتك؟ وكيف بإمكانك تحقيق ذلك يا ترى؟

هل تعلم مستمعي أن الله هو مصدر المحبة؟ ولقد تجلّت محبة الله بأن أرسل المخلص المسيح لكي يموت على الصليب كفارة من أجل خطية الجنس البشري. وهكذا عندما يؤمن أي إنسان بالمخلص المسيح ينال الغفران عن ذنوبه، ويختبر أيضاً المحبة الحقّة في حياته. فهل تود مستمعي أن تجعل المحبة هي التي تسود على حياتك وفي سلوكك؟ تعال اليوم وآمن بالمخلص المسيح الذي سيقبّل حياتك رأساً على عقب، ويجعلك تعيش المحبة الصحيحة في علاقاتك مع الآخرين.